

في رجائي أن أعطيه ولو سيجارة واحدة.. ولكن مصلحته تقتضى أن لا أرق له. ثم انصرف.

وعدت إلى صاحبنا وقد اختمرت في رأسي فكرة — آخذ عشرة جنيهاً دفعة واحدة، فإن أخذ الخمسات لا فائدة منه — وأسافر بها بلا تريث، وأطلب من هناك كل ما أحتاج إليه.. فما يعقل أن يضمنوا على بشيء في الغربة. ودنوت منه، وفركت كفي وقلت: «أظن أن لا فائدة اليوم من طلب شيء».

فوافق — وهو عابس — على أن لا فائدة.

فقلت: «حتى لو كان الطلب لا يعدو عشرة جنيهاً لا أكثر؟»

فزاد وجهه عبوساً وهز رأسه هزات متوالية بلا مناسبة فما كان ثم ما يقتضى هذا العنف وهو المحتاج إلى الراحة التامة. ثم إنى لم أعود منه إلا التلبية السريعة، فاقتنعت بأن رائحة الدخان — أو الطباقي كما علمني المرحوم الشيخ حمزة فتح الله — هي المسؤولة عن هذا السلوك الجديد الذي لا عهد لي به منه.

قال بلهجة الجزم: «أبداً» ولم يزد.

قلت: «لا حول ولا قوة إلا بالله».

ومددت يدي إلى جيبى، فأخرجت العلبة الفضية منه وفتحتها ببطء — وكانت مملأة بالسجائر — وخفضت يدي بها وأملتها وأنا أتناول منها — ليرى ما فيها من صفى السجائر، وأخرجت واحدة ورددت العلبة إلى مكانها، وأشعلت السيجارة.

وإذا بالنائم ينتفض ويقعد على السرير ويصيح بى بصوت كالرعد: «هات العلبة.. هات العلبة».

فصحت به وأنا لا أريم مكانى ولا أظهر اكتراثاً لانتفاضه: «إيه؟»

فصاح وهو يلوح بكلتا يديه: «هاتها.. أقول لك هاتها. ألا تسمع؟»

فقلت وأنا أتظاهر بأننى لم أفهم مراده إلا الآن فقط: «آه تقصد السجائر..؟»

وأخرجت العلبة وفتحتها له وأنا فى مكانى — على نحو مترين منه — «هنا — فى هذا الجانب سجائر الفيل.. وفى هذا الجانب سجائر جنالكيز».

فصاح: «هات.. هات.. هات».

قلت بهرود: «هى لك كلها إذا شئت».

فصاح: «أو لم أشأ.. لقد قلت لك هات مائة مرة فهل أنت أصم.. هات.. أقول لك

هات».